



مظهر القوة وإنَّما أنكر عليهم الغاية المقصودة لهم من ذلك البناء المشَّامخ فمحطَّ الإنكار قوله : تعبثون ، ولما شكَّ أنَّ كلَّ بناء شامخ لا يكون لغاية شريفة محمودة فهو عبث ولهو وباطل . والمصانع يقول المفسرون أنَّها مجاري المياه أو هي المقصور ، وعلى القولين فهي دليل على معرفتهم بضن التعمير علما وعملا وبلوغهم فيه مبلغا عظيما فهي من شواهدنا على ما سقنا الحديث إليه .

□ □ □ □ □ □ ولكن لبت شعري ما الذي صرف المفسرين اللفظيين عن معنى المصنع اللفظي الاشتقاقي والذي أفهمه ولما عدل عنه هو أنَّ المصانع جمع مصنع من الصنع كالمعامل من العمل وأنَّها مصانع حقيقية للأدوات التي تستلزمها الحضارة ويقتضيها العمران ، وهل كثير على أمة توصف بما وصفت فيه في الآية — أن تكون لها مصانع بمعناها العرفي عندنا ؟ بلى وإنَّ المصانع لأوَّل لازم من لوازم العمران وأوَّل نتيجة من نتائجها ، ولما أغرب من تفسير هؤلاء المفسرين للمصانع إلما تفسير بعضهم للسائحين والسائحات بالمصائمين والمصائمات والمحق أنَّ السائحين هم الرحالون والرواد للاطلاع والاكشاف والاعتبار والقرآن الذي يحث على السير في الأرض والمنظر في آثار الأمم الخالية حقيق بأنَّ يحشر السائحين في زمرة العابدين والحامدين والراكعين والساجدين فربَّما كانت فائدة السباحة أتم وأعم من فائدة بعض الركوع والمسجود .

□ □ □ □ □ □ ولما يقولنَّ قائل إذا كانت المصانع ما فهمتم فلماذا يُقبحها لهم ويُنكرها عليهم فإنَّه لم يُنكرها عليهم لذاتها وإنَّما أنكر عليهم غاياتها وثمراتها فإنَّ المصانع التي تُشيد على المسوسة والمقسوة لا تحمد في مبدأ ولا غاية ، وأي عاقل يرتاب في أنَّ المصانع اليوم هي أدوات عذاب لا رحمة ووسائل تدمير لا تعمير فهل يحمدها على عمومها وإنَّ دلائل حضارة ومدنية كانت ، ومن محامد المصانع أن تُشاد لنفع البشر ولرحمتهم ومن لوازم ذلك أن تُراعى فيها حقوق العامل على أساس أنَّه إنسان لا آلة .

□ □ □ □ □ □ ( وإذا بطشتهم بطشتهم جبارين ) لا بد لكلِّ أمة تسود وتقوى من بطش ولكنَّ البطش فيه ما هو حق بأنَّ يكون انتصافا وقصاصا وإقامة لثسطاس العدل بين الناس وفيه ما هو بطش الجبارين والجبار هو الذي يجبرك على أن تعمل بإرادته لا بإرادتك فبطشه إنَّما يكون انتقاما لكبريائه وجبروته وإرضاء لظلمه وعُتوه وتنفيذا لإرادته الجائرة التي لا تُبنى على سُورٍ وإنَّما تُبنى على التَّشهي وهوى النفس لذلك لم ينقم منهم البطش لأنَّه بطش وإنَّما نقم منهم بطش الجبابرة الذي كلُّه ظلم ، وفي القرآن ما هو كالتممة لبحثنا عن حضارة العرب وكالعلاقة لحضارة عاد بعينها وهي حكاية عاد إرم ذات العماد .

□ □ □ □ □ □ فهذا الوصف البليغ الذي نقرأه في سورة الفجر صريح بالفاظه ومعانيه في أنَّه وصف حضارة عمرانية لا نظير لها ، فالعماد لا تكون إلما في المقصور والابنية الباذخة والمدن المخططة على نظام محكم ، وقد قال تعالى وهو العالم بكلِّ شيء أنَّه لم يخلق مثلها في البلاد ومدينة هذا وصفها لا تشيدها إلما أمة لا نظير لها في القوة وآثار الحضارة يتبع بعضها بعضا في الضخامة والعظم والوصف القرآني لها وإنَّ سبق للآثار عاظ بعاقبتهم يدلُّ الباحث التاريخي على أنَّهم بلغوا في الحضارة غاية لا ورائها ، وهم أمة عربية فهذه المدينة شيدت في جزيرة العرب لا محالة ، وإنَّ الأقرب في التذكير بهم والمات عاظ بمصيرهم أن تكون الرؤية في قوله تعالى : ألم تر علمية لأنَّ التذكير عام لمن تتيسر له رؤية العين ولمن لم تتيسر له ، ولو ائتمرت الأمم الإسلامية بأوامر القرآن لنشأ فيها رواد يرودون الجزيرة ويجوبون مجاهلها ولو فعلوا لأمكن أن يعثروا على آثار هذه المدينة في أرض عاد وهي معروفة ويجمعوا بين الرؤية البصرية والرؤية العلمية وبين العلم والمات عاظ ، وإنَّنا لا نعبأ في مقام البحث العلمي بما حف هذه الحكاية من أساطير ، ولما

بما وقع فيه شيخ المؤرخين ابن خلدون حينما تعرض لنقض تلك الأساطير . □ □ □ □ □ □ له بقية □ □ □ □ □ □